الوسائل العلمية لمعالجة الإجرام

وكيف تقوم بها مؤسسة انجليزية

للأستاذ س . م .

سبق أن ذكرنا فى هذه المجلة أن معظم الإصلاحات التى تقوم بها الحكومة البريطانية انما ابتكرها الشعب وسار بها شوطا بعيدا كان بمثابة التعبيد للطريق والقيام بالتجارب والكسب للاختبارات ، حتى اذا اتضحت الفائدة تقدمت الحكومة وعاونت برجالها وأموالها أو تحملت العبء كله . وهذا هو الذى نراه فى التعليم بالمجان وفى التأمينات الاجتماعية وفى مكافحة الأمراض ، بل وفى مكافحة الفاقة . وهذا هو ما ينتظر من كل أمة ديمقراطية . فإن الابتكار فى الديمقراطيات للشعوب وليس للحكومات .

وهكذا الشأن أيضا فى المعالجة العلمية للإجرام . ففى بريطانيا الآن ما يسمى "مؤسسة المعالجة العلمية للإجرام فى الصغار" وهى هيئة شعبية مؤلفة من الأطباء والسيكلوجيين الاجتماعيين . وغايتها بحث الأحوال التى تؤدى الى السلوك السيئ فى الصبيان وهو الذى يوقعهم فى الإجرام ولا يؤدى بهم مع ذلك الى السجن . ولكن قد يؤدى بهم الى الإصلاحيات . وليست غاية هذه المؤسسة أن يستبدل الطبيب بالقاضى . ولكن المقصود هو التعاون بين الاثنين .

وفى البرلمان البريطانى مشروع قانون فى الوقت الحاضر يراد به معالجة المجرمين الصغار بالوسائل التى اهتدت اليها هذه المؤسسة . والتعاون قائم الآن بين هذه المؤسسة وبين محاكم الصبيان . فإن المجرم يحال على المؤسسة التى تبحثه من ثلاث نواح .

الناحية الأولى هى الفحص عن صحته الجسمية . فإن هناك أمراضا تجعل المجهود الصغير متعبا مضنيا يهرب منه الصبى ويحتال للحصول على القليل من المال الذى ينفق بوسائل لا يقرها المجتمع أو هو يقصر فى عمله لضعفه الجسمانى فيلقى من العقوبات والقسر والإحراج ما يلجئه الى هذه الوسائل فيقع فى الإجرام . ولذلك تشرع المؤسسة عندما يصل اليها أحد المجرمين الصغار فى الفحص للطبى عن أمراضه وتحاول معالجته . وقد يعود الصبى سويا بعد ذلك ليس به شذوذ .

فاذا لم يكن به عيب جسمانى أو اعتلال صحى بحثت المؤسسة حالته السيكلوجية ، وهذه هى الناحية الثانية فقد يكون جسمه سليما ولكن نفسه مريضة . لأنه قد نشأ بشخصية عوجاء وتعلم أسلوبا خاطئا فى المعيشة والأقيسة الاجتماعية . وهو هنا تحلل نفسيته وقد يكفى أن

يحادثه العالم السيكلوجى خمس مرات. ولكن فى الحالات المستعصية يحتاج إلى ستين محادثة. ويأتى التأليف بعد التحليل ، فإن شخصيته يجب أن تؤلف من جديد باتخاذ أسلوب آخر فى الحياة و إيجاد مثليات جديدة وتعود عادات حسنة .

أما الناحية الثالثة ، وهى الناحية الاجتماعية ، فان المختص الاجتماعى يعالجها ببحث البيئة البيتية التى نشأ فيها هذا الصبى. فلعل أحد أبويه كان مجرما فاتخذ الصبى أسلوبه فى الحياة منه بالقدوة. ولعل صبيان الشارع قد هيأوا له عشرة السوء فتعلم منهم ، بل لعل العائلة تعيش فى فاقة سوداء تجعل الصبى يهرب و يسرق لكى يعوض نفسه من الحرمان الذى يلقاه فى البيت . بل هناك الأبوان المتشاقان اللذان يجعلان الصبى يكره البيت و يفر منه الى الشارع . وفى هذه الأحوال جميعها يعالج الصبى بإلحاقه بأحد الأندية التى يجد فيها السلويات المتعددة التى تقيه من التشرد كما أن العائلة تجد من يزورها ويحاول إصلاحها باعادة الوفاق بين الزوجين أو بتوجيه الزوج الى العمل الكاسب . وأحيانا يؤخذ الصبى من البيئة السيئة و يسلم لإحدى العائلات الحسنة التى تتبناه وتحسن إرشاده وتعليمه .

ولا يقتصر مجهود هذه المؤسسة على إصلاح الصبيان المجرمين واستردادهم أعضاء نافعين للمجتمع ، بل هى تنظم المحاضرات للأطباء والقضاة حتى يستنيروا فى الأسباب العديدة التى تتواطأ على إيجاد المجرم الصغير. وقد عنيت جامعة لندن بهذه المؤسسة واعترفت بشهادتها ، وهذا تقدير كبير . كما أن الاصلاحيات الانجليزية أخذت بتعاليمها واسترشدت باستنتاجاتها ولذلك لم تعد هذه الاصلاحيات سجونا بل حتى الاسم قد ألغى فى بعضها وأطلق عليها اسم "المدارس" لكى لا يعلق بها ما يوهم العقوبة ولكى لا ينشأ الصبى وفى نفسه جرح نفسى قديم بشأن شذوذه عن زملائه .

ولا يقتصر الانتفاع بهذه الأبحاث على الصبيان الشاذين أو الناشزين ، لأننا كما نعرف الصحة بدرس الأمراض كذلك نعرف الأخلاق السوية والسلوك الحسن بدرس الأسباب التى تؤدى الى ضدهما. فالمعلم فى المدرسة والوالد فى البيت كلاهما ينتفع بدرس الاستنتاجات التى وصلت اليها هذه المؤسسة . وقد ظهر فى الانجليزية كتاب حديث باسم " المعالجة السيكلوجية للجريمة " لمؤلفيه الدكتور اميست والدكتور هو برت .

وهذا الكتاب قائم على أبحاث " مؤسسة المعالجة العلمية للإجرام فى الصغار " .

ولا تزال هذه المؤسسة شعبية لا شأن للحكومة البريطانية بها من حيث التنظيم والنفقات ولكن السجون والإصلاحيات الحكومية انتفعت بها . كما أن جامعة لندن تعاونها الآن . ولن يكون الزمن بعيدا حين تشترك الحكومة اشتراكا فعليا فى زيادة العناية بالمجرمين الصغار بجعل هذه المؤسسة حكومية يرجع اليها فى كل ما يتعلق بالجريمة للصغار والكبار .

س . م .